شرح قصيدة فداء لمثواك

تُعدّ قصيدة فداء لمثواك من بين أجمل القصائد الشعرية التي كتبها محمد مهدي الجواهري في حياته الأدبية، وهي من أجمل القصائد الشعرية التي كُتبت في الحسين بن علي رضي الله عنه، وهي قصيدة عينية كتبها على البحر المتقارب، تتألف هذه القصيدة من أربعة وستين بيتًا، نذكر منها بعض هذه الأبيات ونشرحها فيما يأتي:

- **فِدَاءً لمثواكَ من مَضْجَعٍ / / / تَنَوَّرَ بالأبلَجِ الأروَعِ**
  بأعبقَ من نَفحاتِ الجِنانِ / / / رُوْحَاً ومنْ مِسْكِها أَضْوَعِ
  وَرَعْيَاً لِيومِكَ يومِ" الطُّفُوف / / / "وسَقْيَاً لأرضِكَ مِن مَصْرَعِ

يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في هذه الأبيات مخاطبًا الحسين بن علي رضي الله عنه، أفدي المثوى الذي أنت مقيم فيه، هذا المكان الذي أنار وأضاء بأجمل النور وأطهر الأضواء، وهذا المضجع الذي تعبق فيه أطيب النسائم كأنها نسمات الجنة بل هي أطيب من عطر وطيب الجنة أيضًا، ثم يقول الشاعر ورعيا ليومك: أي نحفظ أو حفظًا ليومك، يوم الطفوف وهو يوم مشهود ومعروف عند أتباع الطائفة الشيعية أي أنه يقول إننا نحفظ يوم الطفوف جيدًا، ثم يدعو الشاعر بالسقيا إلى الأرض التي دُفن فيها الحسين بن علي.

- **وحُزْناً عليكَ بِحَبْسِ النفوس / / / على نَهْجِكَ النَّيِّرِ المَهْيَعِ**
  وصَوْنَاً لمجدِكَ مِنْ أَنْ يُذَال / / / بما أنتَ تَأباهُ مِنْ مُبْدَعِ

يتابع الشاعر القول: إننا نحزن عليك من خلال اتباعنا لنهجك المضيء البين الواضح المعالم الذي لا يتوه معه التابعون، ونصون مجدك وإرثك العظيم، فلا يزول ما دمنا عليه سائرين ولا يفنى ما دمنا به مؤمنين ولا يغيب ما دمنا إليه مسلطي الأضواء.

- **فيا أيُّها الوِتْرُ في الخالدِينَ / / / فَذَّاً، إلى الآنَ لم يُشْفَعِ**
  ويا عِظَةَ الطامحينَ العِظامِ / / / للاهينَ عن غَدِهِمْ قُنَّعِ
  تعاليتَ من مُفْزِعٍ للحُتوفِ / / / وبُورِكَ قبرُكَ من مَفْزَعِ

في قول الشاعر فيا أيها الوتر في الخالدين يريد أن يخبر الحسين بن علي أنّه فريد ونادر بين العظماء الخالدين، فهو الوتر الذي لا يُشفع أبدًا، وهو الموعظة الأولى للأشخاص الطامحين للوصول إلى العظمة، ويا موعظة الأشخاص العظماء للأشخاص اللاهين الذين يحجبون أنظارهم عن غدهم الأكيد.

بعد هذه السلسلة من النداءات التي تتبعها الأوصاف، يأتي النداء والقول؛ فيقول الشاعر: تعاليت أيها الرجل المغيث الناصر الذي تكشف الموت وتبينه للآخرين، وبورك قبرك أيها العظيم.

- **تلوذُ الدُّهورُ فَمِنْ سُجَّدٍ / / / على جانبيه ومن رُكَّعِ**
  شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ / / / نَسِيمُ الكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ

يقول الجواهري في هذين البيتين إن الدهور تلوذ بك وتتحصن بك، ثم يقول إنّه شم الثرى في قبرك فهب النسيم، هذا النسيم المشبع بالكرامة والإباء والعزة، هذا النشيم المشبع بالجود والكرم والعظمة.

- **وعَفَّرْتُ خَدِّي بحيثُ استراحَ / / / خَدٌّ تَفَرَّى ولم يَضْرَعِ**
  وحيثُ سنابِكُ خيلِ الطُّغَاةِ / / / جالتْ عليهِ ولم يَخْشَعِ

يقول الشاعر في هذه الأبيات إنّه مرّغ وفرك خده بتراب أو بثرى قبر الحسين، حيث استراح خذ الحسين الذي انشق ولم يخضع، وحيث مرت خيول الطغاة وجالت وصالت ولم يخشع لهم ولم يتذلل، فالحسين كريم عظيم لا يخضع ولو كلفه ذلك روحه، وهذا ما حدث فعلًا وهذا ما يستذكره ويحاوله شرحه الشاعر في هذه الأبيات.

- **وَخِلْتُ وقد طارتِ الذكرياتُ / / / بِروحي إلى عَالَمٍ أرْفَعِ**
وطُفْتُ بقبرِكَ طَوْفَ الخَيَالِ / / / بصومعةِ المُلْهَمِ المُبْدِعِ
كأنَّ يَداً مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ / / / حمراءَ "مَبْتُورَةَ الإصْبَعِ"
تَمُدُّ إلى عَالَمٍ بالخُنُوعِ / / / وَالضَّيْمِ ذي شَرَقٍ مُتْرَعِ
لِتُبْدِلَ منهُ جَدِيبَ الضَّمِيرِ / / / بآخَرَ مُعْشَوْشِبٍ مُمْرِعِ

في هذه الأبيات الأربع يتخيل الشاعر ويشعر أنّ روحه قد طارت به إلى عالم أرفع وأعظم من هذا العالم، وتصوّر نفسه وهو يطوف بقبر الحسين كما يطوف الخيال بصومعة المبدعين، يقول: تخيلت أنّ يدًا من وراء ضريحك مقطوعة الأصبع لونها حمراء، تمتد إلى هذا العالم المليئ بالخنوع والضيم والإذلال، لكي تبدله عزة وكرامة وأنفة وإباءً، ولكي تحيل فيه قفر الضمير أماكن معشوشبة خضراء.